@Tafsircenter

من بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية

البحث العلمي وربطه بالمستجدات في الدراسات القرآنية العليا

واقع وآفاق

د. أحمد عبد الكريم الكبيسي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

البحث العلمي
وربطه بالمستجدات
في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا
واقع وآفاق

د. أحمد عبد الكريم شوكة الكبيسي

السيرة الذاتية

الاسم: أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي.
مكان الميلاد وتاريخه: العراق/ الأنبار ـ الفلوجة ١٩٧١م.
المؤهل العلمي: حاصل على شهادتين للدكتوراه.
مكان الحصول عليه وتاريخه: الأولى من جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية سنة ٢٠٠٢م، والثانية من معهد التاريخ العربي والتراث العلمي/ بغداد سنة ٢٠٠٤م.
الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.
التخصص العلمي العام: التفسير وعلوم القرآن.
التخصص العلمي الدقيق: قراءات.
العمل الحالي: جامعة الشارقة/ كلية الشريعة ـ قسم أصول الدين.
الإنتاج العلمي:
*** الكتب:**
١ ـ القرآن ودوره في إصلاح المجتمع (وهو البحث الفائز في جائزة هايل سعيد/ اليمن للدورة الحادية عشر، سنة ٢٠٠٧م).
٢ ـ محاضرات في علم القراءات القرآنية (بالتعاون مع أ.د. خليل إبراهيم السامرائي عميد كلية الإمام الأعظم/ الجامعة ـ بغداد، سنة ٢٠٠٤م).
٣ ـ فصول في علم القراءات القرآنية وأصولها (وهو تحت الطبع إن شاء الله).
*** البحوث:**
١ ـ القراءات في شرح صحيح مسلم ـ جمعًا ودراسة ـ، وهو منشور في مجلة الباحث الجامعي/ جامعة إب ـ اليمن ٢٠٠٧م.
٢ ـ دور الإسناد في ضبط القراءات وحفظها، وهو منشور في المجلة أعلاه ٢٠٠٩م.
٣ ـ حوار القرآن مع المشركين، وهو منشور في المجلة أيضًا أعلاه ٢٠١١م.
٤ ـ القراءات المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة النُّعمان ـ جمعًا ودراسة ـ، منشور في مجلة مداد الآداب / الجامعة العراقية ٢٠١٣م.
*** المشاركة في المؤتمرات والندوات:**
١ ـ فاعلية الدَّمج والإرشاد الأسري لذوي الإعاقة (من منظور تربوي قرآني)، مؤتمر جامعة نزوى / سلطنة عُمان.
٢ ـ من قيم النَّهضة في القرآن الكريم (الحرية، المساواة، العدل)، مؤتمر جمعية المحافظة على القرآن الكريم / عمَّان ـ الأردن.

٣ ـ خطورة ظاهرة التكفير، مؤتمر ظاهرة التكفير (الأسباب، الآثار، العلاج) / مقر جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة في المملكة العربية السعودية.
العنوان: الإمارات العربية المتحدة / الشارقة ـ سكن جامعة الشارقة (الخوارزمي).
* الهاتف: ٠٠٩٧١٥٥٢٩٦١٩٨٩
* الإيميل: aalkubise@sharjah.ac.ae أو drahmdshoka@yahoo.com

ملخص البحث

اشتملت الدِّراسة ثلاثة مباحث تطرَّق الباحث ضمنها إلى ما يتميَّز به البحث العلمي في مجال الدِّراسات القرآنيَّة العُليا من خاصيَّةٍ وأهميَّة كبرى تعنى بالجانب النَّظري وخصائص المتغيِّرات المبحوثة (الشخصيَّة الباحثة وواقعه الأكاديمي وطموحاته) وقد تجلَّت مشكلة البحث في أنَّ المجتمعات اليوم بأمسِّ الحاجة إلى تخطيط وتنظيم علمي مقنن لتحقيق التنمية للشعوب لتكون أسوة بالدول المتقدِّمة تقنيًّا، فالملاحظ حاليًّا عند تصنيف الجامعات من حيث التقدم التقني نجد أنَّ الجامعات الإسلاميَّة والكليات القرآنيَّة منها خاصَّة، يأتي تصنيفها في مراتب متأخرة من حيث ابتكار التقنيات وتطبيقها ومواكبة المستجدات المعاصرة.

وإذا ما أردنا التقصي عن قصور بعض الأبحاث في هذا المجال، فهنالك ثمَّة قصور في الرَّبط بين مُخرجات البحوث في الدراسات القرآنيَّة العُليا واحتياجات المجتمع، وذلك من خلال عدم توافق حاجات الواقع، وبين ما تقدِّمه بعض الأبحاث في هذا المجال، ممَّا أبعد تلك الأبحاث عن الميدان، بسبب تخلفها عنها وبُعدها عن المستجدات المعاصرة، فضلًا عن ضعف الإحساس بالمسؤولية لدى بعض الباحثين في الدراسات القرآنيَّة تجاه خدمة الدِّين والمجتمع، إذ لا يُقدِّرُ بعضهم قيمة البحوث العلمية حول متطلباتها، ويعدُّونها نوعًا من البُعد العلمي الذي لا طائل من ورائه، ولا فائدة ترجى منه، والمهم عندهم الوظيفة أو الترقية.

وعليه فإنَّ من أسباب هذا التأخر عدم توظيف رسالة الكليَّات القرآنيَّة البحثية؛ توظيفًا فاعلًا إيجابيًّا تجاه الواقع، فضلًا عن أنَّ بعض تلك

الأبحاث الشرعيَّة لطلبة الدِّراسات القرآنيَّة العُليا تتسم بالتقليديَّة والتعصب والمحاكاة دون اللجوء إلى التجديد والتوازن أو الانفتاح والابتكار، أو على الأقل الاهتمام المباشر بقضايا المجتمع، الأمر الذي أدَّى إلى عزل تلك الأبحاث عن محيط المؤسسات والتنمية، في حين أنَّ كليات القرآن الكريم وعلومه هي المكان الأمثل للأبحاث الأكاديميَّة الشرعيَّة التي يقوم بها المتخصِّصون في المجالات الإنسانيَّة والإعجاز بأنواعه.

وقد حاول البحث دراسة كيفيَّة تفعيل سُبُل الابتكار، والتجديد في البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنيَّة العُليا من أجل ترسيخ وجوده، وضمان استمراره في أداء رسالته المعرفيَّة والتربويَّة والتنمويَّة، ومواءمته لمتطلبات العصر، من أجل الحث على التأطير العملي للتوفيق بين مُخرجات الأبحاث القرآنيَّة، والمشاريع النَّهضويَّة في مختلف المجالات؛ كي تُشكل القاعدة الأساسيَّة لقدراتنا على الاختراع السِّلمي، والابتكار الجدي، وتطوير المناهج والفكر، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا تعاقبت أنشطة تلك الأبحاث إلى اكتشاف ما هو جديد ومحاكاة الواقع، ومن ثمَّ المبادرة إلى وضع حلول ودراسات تهدف إلى تعزيز حفظ الإنسان وكرامته وحقوقه؛ كي تنتظم الحياة.

فالمشكلة إذًا ليست في غياب البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة، وإنَّما في غياب نظام الأولويات والواقعيَّة لدى كتابها، وفي الوقت نفسه غياب الدوافع الحقيقية والرَّغبة الصَّادقة في الاستفادة من الأبحاث العلمية الإسلاميَّة المعتدلة في الفكر والمنهج.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإنَّ البحث العلمي ميدان خصب ودعامة أساسية لازدهار الكليات الشرعيَّة وتفوقها وتطور اقتصاد الدول، وبالتالي تحقيق رفاهية شعوبها، فهو يحتل في الوقت الرَّاهن مكانًا بارزًا في تقدم النَّهضة العلميَّة، إذ تعد المؤسسات الأكاديمية ولاسيما كليات القرآن الكريم وعلومه، المراكز الرَّئيسية لهذا النَّشاط العلمي الحيوي. وإنَّ الحاجة إلى تطوير البحث العلمي في مجال الدِّراسات القرآنية وربطه بالواقع في الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة لهي اليوم أشدّ منها في أيِّ وقتٍ مضى، فالعلم والعالم في سباق للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدَّة من العلوم التي تكفل الرَّفاهية للإنسان وتضمن له التفوّق عن غيره.

وإنَّ الباحث في ميدان الدِّراسات القرآنيَّة له ميزة على غيره، إذ إنَّه يتجوَّل في آيات كتاب الله تعالى إعجازًا وتبيانًا واستدلالًا، واستنباطًا لأحكامها، فضلًا عن ربطها بواقع الأمَّة الإسلاميَّة العلميَّة والفكريَّة.

وإنَّ نتائج البحث العلمي الدَّقيقة في مجال الدِّراسات القرآنيَّة

والتأكيد عليها في بلاد المسلمين إنَّما هو رصيدٌ عزيزٌ وثروة وطنيَّة كبرى، يجب الأخذ بها وتشجيعها ودعمها وتنميتها بكافة الطرق ومختلف الوسائل لاسيّما وأنَّ القرآن الكريم له القدرة على تكفل مواجهة المشكلات المعاصرة بطريقةٍ وسطيَّةٍ سليمةٍ، وبمنهج علميٍّ مُحكم ودراسة موضوعيَّة، فهو يدعو إلى اكتساب العلم والخبرة والفنِّ والإبداع، وهذا هو روح الحضارة ومفتاح التنمية وسبيل الرِّفعة ووسيلة التقدم للمجتمعات.

فمن هذا المنطلق وبهذا المفهوم عزمتُ بعد التوكل على الله تعالى أن أسجل ما أراه ـ من خلال تتبعي ـ في واقع البحث العلمي وطموحاته في إطار الدِّراسات القرآنيَّة العُليا في جامعاتنا الإسلاميَّة لعلَّ كلمتي المتواضعة يصل صداها إلى إخواني الباحثين والمتخصِّصين في هذا المجال.

وقبل البدء بالموضوع ومن خلال مؤتمركم الموقر أودّ أن أوجّه عظيم الامتنان، وجزيل الشكر والعرفان إلى القائمين عليه في جامعة الملك سعود/ الرياض ـ المملكة العربية السعودية، والمتفضلين دائمًا ودومًا بطرح مثل هكذا مؤتمرات نافعة وأفكار علميَّة قيّمة.. فلهم منِّي ومن إخواني المشاركين جزيل الشكر والثناء.

* مشكلة البحث:

تحتاج المجتمعات إلى تخطيط وتنظيم علمي مقنن لتحقيق التنمية والرَّفاهية للشعوب لتكون أسوة بالدول المتقدِّمة تقنيًّا، فالملاحظ حاليًّا عند تصنيف الجامعات من حيث التقدم التقني نجد أنَّ الجامعات

الإسلاميَّة والكليات القرآنيَّة منها، ومراكز البحث الإسلاميَّة يأتي تصنيفها في مراتب متأخرة من حيث ابتكار التقنيات وتطبيقها ومواكبة المستجدات المعاصرة، ذلك أنَّ من ضمن أسباب هذا التأخر عدم توظيف رسالة الكليَّات القرآنيَّة البحثية؛ توظيفًا فاعلًا إيجابيًّا تجاه الواقع. على الرَّغم من أنَّ كليات القرآن الكريم وعلومه هي المكان الأمثل للأبحاث الأكاديميَّة والشرعيَّة التي يقوم بها المتخصِّصون في المجالات الإنسانيَّة والإعجاز بأنواعه.

فمن هنا نبعت مشكلة الدِّراسة، والتي تتمثل في أنَّ بعض الأبحاث الشرعيَّة لطلبة الدِّراسات القرآنيَّة العُليا تتسم بالتقليديَّة والتعصب والمحاكاة دون اللجوء إلى التجديد والتوازن أو الانفتاح والابتكار، أو على الأقل الاهتمام المباشر بقضايا المجتمع، الأمر الذي أدَّى إلى عزل تلك الأبحاث عن محيط المؤسسات والتنمية.

* تساؤلات البحث:

يُحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١ ـ ما هي حصيلة واقع مُخرجات البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة؟

٢ ـ كيف نُفعِّلُ سُبُلَ الابتكار، والتجديد في البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنيَّة العُليا؟ من أجل ترسيخ وجودها، وضمان استمرارها في أداء رسالتها المعرفيَّة والتربويَّة والتنمويَّة؟

٣ ـ كيف يُمكن ربط الواقع بالقرآن الكريم؟ وكيف يُمكن بناء تكوينات جامعيَّة تستجيب لهذا؟

٤ ـ لماذا تأخر البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنيَّة في أطروحاته عن غيره في الجامعات أو الكليات؟

٥ ـ ما هي استراتيجية التنسيق بين الدِّراسات القرآنيَّة، وباقي التخصّصات الجامعيَّة على مستوى البحث في إطار منهجيَّة التكامل المعرفي في سلك الدِّراسات العُليا؟

٦ ـ ما الذي يُمكن إيجاده لتطوير البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا، وكيفية مواءمته لمتطلبات العصر؟

* هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق عدة أهداف من أهمِّها:

١ ـ تطوير بحوث الدراسات القرآنية العُليا والارتقاء بها؛ من خلال التوجه نحو بحث الموضوعات التي لم تحظ بالدراسة أو تحتاج إلى إعادة لمسوغٍ علمي، مع تجنُّب التكرار.

٢ ـ توسيع كافة ميادين البحث العلمي القرآني ولاسيما الموضوعي منها في جامعاتنا ضمن الاتجاهات المتطوِّرة المعاصرة بما يتوافق مع مقاصد القرآن الكريم دون تكلفٍ أو إقحام.

٣ ـ التأطير العملي للتوفيق بين مُخرجات أبحاث كليات القرآن وعلومه، والمشاريع النَّهضويَّة في مختلف المجالات.

٤ ـ تعريف الأجيال بتراث الأمَّة في خدمة القرآن الكريم من خلال البحث العلمي الرَّصين.

٥ ـ دعم مسيرة البحث العلمي في مجال القرآن وعلومه من خلال تشجيع أعضاء الهيئة التدريسيَّة على الكتابة والتأليف، ودعم نشر دراساتهم وأبحاثهم في المجلات العلميَّة الوطنيَّة والدُّولية.

٦ ـ تنمية مهارات طلبة الدِّراسات القرآنيَّة العُليا على البحث العلمي بما ينسجم وطموحاتهم العلميَّة والأكاديميَّة فضلًا عن احتياجات العصر.

٧ ـ تشجيع البحث العلمي القرآني الأصيل ودعمه، ورفع مستواه من أجل خدمة القضايا المعاصرة.

* منهجيَّة البحث:

ولتحقيق الأهداف المرسومة سلفًا لهذه الدِّراسة، فقد استخدم الباحثُ المنهجَ الوصفي والتحليلي مع التركيز على المنهج التحليلي؛ ليُسهم في تقديم صورة صادقة عن الوضع الرَّاهن لقضيَّة البحث العلمي في مجال الدِّراسات القرآنيَّة العُليا في جامعاتنا؛ بعد استقراء مجموعة من المصادر والمراجع ذات الصِّلة بالموضوع، ولاسيما ما له صلة بالواقع وتحسين بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والارتقاء بها لمستويات خدمة طموحات المجتمع وربطها بمتطلبات العصر، ومن ثمَّ الخروج ببعض النَّتائج المبنيَّة على الاستقراء الفاحص والدِّراسة التحليليَّة.

* خطة البحث:

وفي هذا البحث فقد تناول الباحثُ الحديثَ عن مفهوم البحث العلمي في مجال القرآن وعلومه وأهميَّته في كليات الشريعة وواقع ذلك على الأفراد والمجتمع، وعن عَلاقته باحتياجات الشعوب وأثره في إصلاح الواقع الاقتصادي والاجتماعي وغيرهما، وضرورة ربطه بواقعنا المعاصر، فضلًا عن كيفيَّة تجاوز الأسباب المؤدية إلى تدني البحث العلمي في كليات القرآن وعلومه.

.. هذا وقد انتظمت خطة البحث ـ بفضل الله ـ في ثلاثة مطالب يتقدَّمها مقدِّمةٌ ويقفوها خاتمةٌ:

ـ وتشمل **المقدِّمة** التعريف بالبحث، وعلى النحو الآتي: (مشكلة البحث، تساؤلات البحث، هدف البحث أهميَّة الموضوع، منهجيَّة البحث وخطته).

ـ **المبحث الأوّل**: وقد عقدته للتعرُّف على مفهوم البحث العلمي في الدراسات القرآنيَّة، ومدى أصالته وأهمّيته في الوسط الإسلامي.

ـ **المبحث الثاني**: ويتضمّن الحديث فيه عن واقع البحث العلمي وإشكالياته في مجال الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.. ويحتوي على:

المطلب الأوَّل: البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا (بين التكرار الممل.. والتجديد المخل).

المطلب الثاني: آفة الموضوعيَّة في البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.

ـ **المبحث الثالث:** آفاق البحث العلمي في إطار الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.. ويتضمَّن مطلبين:

المطلب الأوَّل: جدية البحث العلمي وأصالته في ميدان الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.

المطلب الثاني: ربط مُخرجات البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة الموضوعيَّة بالمستجدات

.. هذا وتبعت المباحثَ خاتمةٌ ذكرَ الباحثُ فيها ملخَّصَ ما توصَّل إليه من نتائج وتوصياتٍ خلال جولته لدراسة هذا الموضوع.

المبحث الأوَّل

التعريف بالبحث العلمي في الدراسات القرآنيَّة، وأهميَّته في الوسط الإسلامي

ويتضمَّن مطلبين..

المطلب الأول: مفهوم البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة:

تتعدد تعريفات البحث العلمي، ولا يتفق الباحثون على تعريف محدد؛ وذلك بسبب اختلاف أساليب البحث تبعًا لأهدافه ومجالاته ومناهجه، لكن معظم تلك التعريفات تلتقي حول التأكيد على دراسة مشكلةٍ ما يقصد حلها وفقًا لضوابط علميَّةٍ دقيقةٍ.. وسأذكر أهمَّها فيما يأتي، ثمَّ أذكر النِّقاط المشتركة بين تلك التعريفات من أجل الوصول إلى هدف هذه الدِّراسة.

فالبحث في اللغة: الطلب والفحص والتفتيش[1]، ومنه قوله تعالى:

(١) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م: مادة (بحث): ١/ ٢٦٣؛ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور=

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[١] وقد تناول العديد من الباحثين مفهوم البحث العلمي، واختلفت مداخلهم وتباينت اتجاهاتهم حول هذا المفهوم.

* فعرَّفه ديبولد بقوله: «المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرِّق البشرية وغيرها»[٢].
* وعرَّفه الدكتور خليفة بقوله: «الدراسة والتفحص والتقصي والتمعن الدقيق، الناقد، والمنظم للمشاكل والظواهر والموضوعات التي تبرز وتؤرق وتحير الأفراد ومجتمعاتهم ومؤسساتهم لإيجاد الحلول ومعالجتها وإزالة الغموض عنها، أو حسم الخلاف فيها»[٣].

وهذا يعني أنَّ حاجة البحث العلمي تتطلب من الباحث ـ المتخصّص في الدِّراسات القرآنيَّة وغيرها ـ التفكير الجاد والعلمي، وتقصي الحقائق، وتحديد مشكلة البحث باتباع أساليب ومناهج علميَّة منضبطة؛ لكي يحصل على نتائج صالحة مفادها التغلب على المشكلات وحلولها.

=الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، ط١ دار صادر ـ بيروت: مادة (بحث): ٢/ ١١٤؛ تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، والملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تح. مجموعة من المحققين، ط دار الهداية: مادة (بحث): ٥/ ١٦٣.

(١) سورة المائدة: من الآية ٣١.

(٢) مناهج البحث في التربية وعلم النفس: ديبولد فان دالين، ترجمة: محمد نوفل وآخرين، ط مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٩م: ص٩.

(٣) طرق البحث العلمي والتربية البدنية: د. خليفة شحاته الباح، ط١ جامعة قار يونس ـ بنغازي / ليبيا ١٩٩٢م: ص٢٣.

وهنالك تعريفات تشير إلى أنَّ البحث العلمي عبارة عن: وسيلة للدراسة يُمكن بوساطتها الوصول إلى حلٍّ لمشكلة محددة، وذلك عن طريق الاستقصاء الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يُمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة(١).

* أو أنَّه: عملية منظمة، تهدف إلى التوصل إلى حلول لمشكلات محددة، أو إجابة عن تساؤلات معيَّنة باستخدام أساليب علميَّة محددة، لفحصها وفق مناهج علمية مقرَّرة، يكون للباحث منها موقف معين، ثمَّ يعرضها بأسلوبٍ ذكي لتسير في ركب الحضارة الإنسانيَّة؛ ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة(٢).

* ويورد آخر تعريفًا لمنهجيَّة البحث العلمي على وجه التحديد فيقول: «من أنها طرق منتظمة لاكتشاف وتحليل وتفسير الظواهر الغامضة، أو توضيح حقائق لم تفهم بصورة دقيقةٍ»(٣).

وعلى الرَّغم من تعدد تلك التعريفات فإنَّها تشترك جميعها في النِّقاط الآتية:

١ ـ البحث العلمي محاولة منظمة، أي أنها تتبع أسلوبًا أو منهجًا

---

(١) ينظر: خطوات البحث العلمي: أمل سالم العواودة، (دورة تدريب المتطوعين على المسح الميداني)، مكتب خدمة المجتمع / الجامعة الأردنية ـ عمان ٢٠٠٢م: ص.٢.

(٢) ينظر: مناهج البحث في التربية وعلم النفس: سامي محمد ملحم، ط٣ دار المسيرة ١٤٢٦هـ: ص٤٧؛ كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: عبد الوهاب إبراهيم، ط ٦ دار الشروق ـ جدة ١٤١٦هـ: ص٢٥؛ أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية: محمد راكان الدغيمي، ط٢ مكتبة الرسالة ـ الأردن ١٤١٧هـ: ٣٣.

(٣) الوجيز في مناهج البحث العلمي في منظور إداري معاصر: د. عاصم الأعرجي، ط دار الفكر ـ عمَّان/ الأردن ١٩٩٦م: ص٥.

مغيبًا ولا تعتمد على الطرق غير العلمية مثل الخبرة والسلطة، وغيرها.

٢ ـ البحث العلمي يهدف إلى زيادة الحقائق التي يعرفها الإنسان وتوسيع دائرة معارفه، وبذا يكون أكثر قدرة على التكيف مع بيئته والسيطرة عليها.

٣ ـ البحث العلمي يختبر المعارف والعَلاقات التي يتوصل إليها ولا يُعلنها إلا بعد فحصها وتثبتها والتأكد منها تجريبيًّا.

٤ ـ البحث العلمي ولاسيَّما القرآني منها يشمل جميع ميادين الحياة وجميع مشكلاتها، ويستخدم في المجالات المهنية والمعرفية والدِّينيَّة والاقتصادية والاجتماعية والتربوية على حدٍّ سواء[١].

وعليه فمهما اختلفت ميادين البحث فإنَّه لا يخرج عن واحد ممَّا يأتي: (اختراع معدوم، أو جمع متفرق، أو تكميل ناقص، أو تفصيل مجمل، أو تهذيب مطوَل، أو ترتيب مخلط، أو تعيين مبهم، أو تبيين خطأ)[٢]، وكلها يقصد بها تحقيق أهمية البحث.

ومن هذا نخلص لمفهوم البحث العلمي على أنَّه حزمة من الطرق

---

(١) ينظر: البحث العلمي (مفهومه ـ أدواته ـ أساليبه): د. ذوقان عبيدات وزملائه، ط دار الفكر ـ عمَّان / الأردن ١٩٨٨م: ٤١، مناهج البحث الاجتماعي: د. عادل مختار الهواري، ط١ مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ص٢٩؛ البحث العلمي في خدمة المجتمع: مصطفى كمال طلبة، وهو بحث منشور في المؤتمر العام الثاني لاتحاد الجامعات العربية، المنعقد بجامعة القاهرة (اتحاد الجامعات العربية) ـ القاهرة ١٩٧٣م: ص١٥٠.

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، تح، محمد بهجة البيطار، ط١ دار النفائس ـ بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م: ص ٣٨.

والخطوات المنظمة والمتكاملة النَّاتجة عن تتبع وتقصٍّ واختيارٍ علميٍّ سليم، تستخدم في تحليل وفحص معلومات محددة وفق منهج معيَّن، بهدف الوصول إلى نتائج جديدة، وهذه الطرق تختلف باختلاف أهداف البحث العلمي ووظائفه وخصائصه وأساليبه.

بَيْدَ أنَّ البحث العلمي في الدراسات القرآنيَّة هو الالتزام بمنهج علميٍّ وتنظيميٍّ مبني على دراسة الآيات القرآنيَّة والتأمّل فيها من خلال تفسيرها وفهمها فهمًا دقيقًا مستعينًا بالسنَّة الصَّحيحة، ووفق الضوابط الشرعيَّة، فضلًا عن الالتزام بمنهج المبدعين والعلماء الربانيِّين المختصِّين في هذا المجال؛ لتحقيق ربط البحث لخدمة التنمية بهدف تنشئة الأفراد تنشئة دينيَّة معتدلة، وتلبية احتياجات المجتمع للتحسين المستمر للبحث ممَّا يعني انسجام البحث العلمي القرآني مع متطلبات الواقع المتغيِّر بشكل يؤمّن ويُعزِّز رسالة هذا البحث ويُعظم من قدرته على مواجهة الفكر المنحرف فضلًا عن مواجهته للتغيير الحاصل في المجتمع والتنبؤ به قبل حدوثه، وتوفير تسهيلات التدريب الملائمة لمتطلبات الواقع، من أجل بثِّ روح الأخوة والمحبة والوئام، وتنمية الوعي لدى الأفراد كافة ولاسيّما الطلبة منهم وتنشيط مؤسساتهم التي يدرسون فيها، والتأكيد على أهميَّة وجود الإنسان وسعادته وإبداء الاحترام إليه؛ كون ذلك محورًا لحفظ كرامته، وصيانة حقوقه ومكتسباته.

المطلب الثاني: أصالة البحث العلمي الإسلامي:

يرتبط البحث العلمي في تاريخه العتيق بمحاولة الإنسان الدائبة للمعرفة وفهم الكون الذي يعيش فيه، وقد ظلت الرغبة في المعرفة

ملازمة للإنسان منذ المراحل الأولى لتطور الحضارة. إذ إنَّ نشأة البحث العلمي قديمة قدم الإنسان على سطح الأرض، فمنذ أن خلق الله آدم، ونزوله الأرض والإنسان يعمل عقله وفكره ويبحث عن أفضل السبل لممارسة الحياة فوق سطح الأرض، ومن ثم لتحقيق وظيفة الاستخلاف التي خلق اللهُ الإنسانَ من أجلها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾[1]. ومنذ ذلك اليوم، والإنسان يُمارس المحاولات الدائبة للمعرفة وفهم الكون الذي يعيش فيه. وظلت البشرية على مدار قرون طويلة تكتسب المعرفة بطريقة تلقائية مباشرة عن طريق استخدام الحواس الأساسية للإنسان وبالطبع لم تمارس أي منهج علمي في التوصل إلى الحقائق أو محاولة فهم بعض الظواهر التي تحدث حول الإنسان.

وعندما حمل المسلمون شعلة الحضارة الفكرية للإنسان، ووضعوها في مكانها السَّليم، كان هذا إيذانًا ببدء العصر العلمي القائم على المنهج السَّليم في البحث، فقد تجاوز الفكر العربي الإسلامي الحدود التقليديَّة للتفكير اليوناني وأضاف العلماء العرب المسلمون إلى الفكر الإنساني منهج البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجريب، بجانب التّأمل العقلي، كما اهتموا بالتحديد الكمِّي واستعانوا بالأدوات العلمية في القياس. وفي العصور الوسطى بينما كانت أوروبا غارقة في ظلام الجهل كان الفكر العربي الإسلامي يفجر في نقلة تاريخية كبرى ينابيع المعرفة.

وكان «التفكير والبحث العلمي قد تأكدت دعائمه فيما يسمَّى بالعصر

(١) سورة البقرة: ٣١.

الحديث ابتداءً من القرن السَّابع عشر الميلادي حتى وقتنا هذا، وكان ذلك على يد فرنسيس بيكون، وجون استيوارت مل، وكلود برنارد وغيرهم»[(١)]. وقد أكدت الدِّراسات العلمية المعاصرة أنَّ أصول المنهج العلمي الحديث، أصول إسلامية عربية وليست أصولًا يونانية[(٢)]. وأنَّ بعض المؤلفات العلمية الأوربية في بداية عصر النَّهضة هي في الحقيقة ترجمة لمؤلفات عربية أو نقل منها وإنْ حاول أصحاب هذه المؤلفات تجاهل فضل العرب وزعموا أنهم فيما أتوا به من آراءٍ ونظرياتٍ لم يعتمدوا على مصادر عربية[(٣)]. لذا فقد تمثل المسلمون المنهجيَّة في بحوثهم ودراساتهم في مختلف جوانب المعرفة.. وبهذا يتبيَّن لنا إسلاميَّة البحث العلمي من حيث النَّشأة والأصالة والبداية والسَّبق.

وإن كان بعض الباحثين المسلمين اليوم ـ للأسف ـ قد أصيبوا في مجال الفكر والبحث بالجمود والركود العلمي وران عليه الاجترار والتقليد، وأقبلوا على تراث قديم يشرحون ويلخصون ويجمعون دون الرجوع إلى مقاصد القرآن وتشريعاته فضلًا عن السنَّة الصَّحيحة، حتى فقدوا بذلك روح الابتكار والتجديد[(٤)].

---

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه: د. أحمد بدر، ط وكالة المطبوعات ـ الكويت، يناير ١٩٨٢م: ص٧٣.

(٢) ينظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه: د. ابراهيم مدكور، ط٣ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٨م: ١/ ٢٥، دراسات في الفلسفة الإسلامية: د. محمود قاسم، ط٣ دار المعارف ـ مصر ١٩٧٠م: ص٢٦.

(٣) ينظر: محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب: د. فؤاد سزكين، ط١؛ معهد التاريخ والعلوم العربية والإسلامية فرانكفورن ـ ألمانيا ١٩٨٤م: ١/ ٨١.

(٤) ينظر: الإسلام والحضارة العربية: د. محمد كرد علي، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة: ص٢٢١.

ممَّا جعل مسيرة البحث العلمي ـ أحيانًا ـ تتلكأ بسبب عدم تحديد المشكلة، وعدم بلورة التساؤلات والفرضيات والتكاسل في جمع المعلومات، والابتعاد عن الموضوعيَّة والتحليل، وضعف النَّتائج النِّهائية.

المطلب الثالث: أهميَّة البحث العلمي الإسلامي وأثره في تقدم الحياة:

إنَّ أثر البحث العلمي في الدراسات الإسلامية ـ القرآنيَّة ـ وتطويره في أوجه الحياة المختلفة أصبح المحرِّك الرَّئيسي لعجلة التنمية والازدهار، وذلك منذ أن نزلت كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[1] في القرآن الكريم والتي تدلنا على الطريق الصَّحيح السويِّ المتمثل في مدى اهتمام الإسلام بالعِلم، وأهميَّة البحث العلمي وقيمته بالنِّسبة للفرد والأسرة والمجتمع[2].

وقد جاء الإسلام داعيًا إلى البحث العلمي والدراسة والتمحيص والتنقيب والمعرفة، فالحكمة ضالَّة المؤمن وطلب العلم فريضة على المسلمين، وهو في ذلك لا يُميِّز بين علمٍ وآخر، بل عدَّ العلوم النَّافعة هي تلك التي تحقق مصلحة دينيَّة، أو توصل إلى منفعةٍ دنيويَّةٍ، وقد دعا الإسلام إلى تمجيد العقل، وتحصيل العلم حتى أنَّه قرن شهادة العلماء بشهادة الملائكة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ

(١) سورة العلق: ١.
(٢) ينظر: العلوم الإسلامية (عبقريَّة التدخل وعبقريَّة الإبداع): عالية شعبان، دار الثقافة للطباعة والنَّشر ـ القاهرة ١٩٩٧م: ص٥.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(١)، بل عدَّ إيمان الإنسان وعبادة الله غير كاملة ما لم تصدر عن علمٍ وإدراكٍ وبصيرةٍ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾(٢)(٣).

وممَّا لا شك فيه أنَّ البحث العلمي مع تسارع النّمو في العلوم والتقنيات كافة، أصبح مطلبًا رئيسيًّا يستوجب دراسة الوضع الحالي من زاوية البحث العلمي العالمي، لاسيما وأنَّ الدِّراسات المعاصرة قد أظهرت وجود فجوة ما بين البحث العلمي والاحتياجات الحقيقية، فضلًا عن وجود فجوة أخرى بين البحث العلمي والصِّناعات المعلوماتية من حيث جمع المعلومات وتحليلها وتنسيقها والاستفادة منها في رسم سياسات اقتصادية واجتماعية ذات جودة عالية ومردود إيجابيٍّ عالٍ.

ومن هنا فإنَّ البحوث العلميَّة الإسلامية بمختلف مجالاتها تمثل محورًا ارتكازيًّا أساسيًّا لازدهار المجتمع، إذ تهدف إلى التقدم والتحسين المستمرين لمستوى الأداء في جميع القضايا.

وعَلاقة البحث العلمي بفعاليات القطاعات وأنشطتها هي عَلاقة تكاملية وطيدة نحو تجويد ورفاهية المجتمع والارتقاء به، ممَّا يدعو إلى تحديد أولويات البحوث وقضايا التنمية، وهذه قضية ذات شأن هام على كافة المجالات والمستويات الإسلاميَّة والفنية والإدارية

(١) سورة آل عمران: ١٨.
(٢) سورة العنكبوت: ٤٣.
(٣) ينظر: الحضارة الإسلاميَّة وأخلاقيَّات المنهج العلمي: محمد شفيق، ط القاهرة ٢٠٠٣م: ص١.

والتخطيطية والتنفيذية محليًّا ووطنيًّا وإقليميًّا وعالميًّا، مع التسليم بأنَّ المشروعات التربوية والإسلامية على المستوى الميداني هي قضايا بحثية تستخدم المنهج العلمي وأنها تستخدم الأدوات العلمية لتحديد أولويات المشاكل التي تتطلب المواجهة والحل، فضلًا عن تحديد أولويات بحوث الدراسات القرآنيَّة التنمويَّة على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، وهي قضية ملحَّة لإيجاد الحلول المناسبة لقضايا العصر ووضع أولويات لمواجهة التطرّف والتحديات والمعوِّقات من خلال البحوث الشرعيَّة وترشيدها، وحل مشاكل المجتمع ذات الأولوية وبالتالي تجويد الواقع من منظور دينيٍّ واجتماعي واقتصادي.

هذا وتكمن القيمة الحقيقية للبحوث في مجال القرآن وعلومه عمومًا في مدى الاستفادة من نتائجها إذ إنَّ البحوث ليست غاية في حدِّ ذاتها، بل هي وسيلة لبلوغ تلك الغاية. ودور البحوث يقع أساسًا في الحصول على استقرار الأمن وتحسين معيشة الأفراد والجماعات، وتطوير واقعهم ورفاهيَّتهم وتوفير المناخ المناسب لهم.

وعلى الرَّغم ممَّا تقدم فلا يُمكن أن يتأتى من غير وصول نتائج تلك الأبحاث إلى متخذي القرار والمسؤولين المعنيِّين الذين هم من شأنهم العمل على تنفيذ نتائج البحوث والأخذ بتوصياتها وتطبيقها على أرض الواقع لتحسين الأداء وتأمين الأفكار وتصحيحها، وتفوق مستوى المعيشة العامَّة.

لذا فلا بد من أن تولى الأبحاث العلميَّة في إطار الدراسات القرآنيَّة أهمية خاصة بمتطلبات الجماهير، وتعمل على نشر تنقية الأجواء، وتوفير كافة الاحتياجات الضرورية لرفع كفاءة المؤسسات الشرعيَّة،

والارتقاء بمستوى مواءمتها العالميَّة، وتأمين الرِّعاية الكافية لخدمة الدِّين الإسلامي بكفاءة رفيعة المستوى، وذلك من خلال تطوير آليةٍ مناسبةٍ للبحث العلمي الإسلامي للارتقاء بمستوى إعداد الباحثين التي يحتاجها النَّاس.

ولا يُمكن تفعيل ذلك حتى تلتزمَ تلك الأبحاث بتقديم البرامج والمشاريع النوعية لتحسين أداء كافة الجوانب البحثيَّة بهدف الرَّفع من كفاءة الأسلوب والأداء والفكر ودراسة مشكلات المجتمع، وإيجاد السُّبل لتذليلها بما يتاح لها من إمكانات مادية وبشرية متوفرة، كل ذلك بعد الاتصال بالمجتمع المحيط والمؤسسات الدينيَّة والاجتماعية والاقتصاديَّة والتربوية المختلفة، وتمكين كافة الأقسام والإدارات في التعليم الإسلامي من المساهمة في برامج تحسين الحوار الوطني والعالمي، وتحسين الأداء الفكري وتفعيله، وتقديم بيانات دقيقة وإحصاءات علميَّة تحدد مشاكل المجتمع من أجل تمكين الباحثين لإيجاد الحلول لها؛ وذلك لأنَّ معظم جوانب الحياة التي يعيشها الناس هي ثمار للبحث العلمي. والبحث الجاد لا يصلح له إلا الباحث المبدع المؤهل تأهيلًا علميًّا، لاسيّما الباحث في القرآن الكريم إذ له خصوصية فوق ذلك كله، حيث إنه يغدو ويروح وهو يبحث في القرآن الكريم وميادينه الواسعة، استنباطًا للهدايات، وتلمسًا للأحكام، وبيانًا للمعاني، وتقريبًا لعلومه لعموم المسلمين الذين يتعبدون لله بالقرآن الكريم وتعلم علومه.

والمتأمِّل لميدان الدراسات القرآنية في العصر الحديث يجد حراكًا مشكورًا في تطوير البحث العلمي، إذ حققت كتب التفسير، وطبع

أكثرها، وكذلك كتب علوم القرآن والقراءات والتجويد، وانطلق الباحثون خلال الخمسين سنة الماضية يحرثون حقل الدراسات القرآنية ويبحثون عن الثغرات لسدها، والهدايات لإبرازها، والصعوبات لتيسيرها والقواعد لجمعها وترتيبها، والمناهج لتوضيحها وتقريبها، فأثمر كل ذلك حراكًا علميًّا ملحوظًا، ونشر الكثير من هذه البحوث والدراسات، ولا يزال الكثير منها غير منشور ويحتاج إلى من يلتفت إليه لنشره من دور النشر ومراكز الأبحاث والكراسي البحثية.

المبحث الثاني

واقع البحث العلمي وإشكالياته في مجال الدِّراسات القرآنيَّة العُليا

إنَّ تشخيص واقع البحث العلمي لدى المسلمين اليوم وتحليل أسباب انعدام دورهم الحضاري ـ على الرَّغم من ثقل الواجب المناط بهم ـ فإنَّه يشوبه الكثير من التعميم والحديث الفوضوي الذي هو من أعراض الداء الذي يُبتغى علاجه، فضلًا عن أن يساعد في فهم الخلل؛ إذ من الشروط الأساسية لفهم أي ظاهرة الغوص إلى أعماقها وتحديد أبعادها وتجزئتها.

وعن تحليل إشكاليَّة الدِّراسات القرآنيَّة العُليا فإنَّه أساسيٌّ في درس المشكلة الحضارية والفوضويَّة، إذ إنَّ البحث العلمي يُعاني من أزمات أعمق تزيد إشكاليات المؤسسات الجامعية على وجه الخصوص ممَّا فقدَ لقب الانتساب إلى الجامعات الإسلامية أو الكليات الشرعيَّة ثقله التاريخي، فلم يعد لحامل شهاداتها حضوره العلمي، وهي ظاهرة حقيقية ملموسة على أرض الواقع.

والأخطر من ذلك أن تصبح بعض الجامعات الإسلاميَّة أو الكليات

الشرعيَّة عائقًا أمام البحث العلمي والإبداع بتحطيم الطموح العلمي والرُّوح الإبداعية لدى طلبتها والمخلصين من أساتذتها من خلال القيود المفروضة والرُّوتين القاتل، فأصبح المتميِّز من علماء العصر متميِّزًا بجهده الخاص.

والمشكلة العظمى في ذلك هي مشكلة طبيعة أهداف الجامعة ورسالتها العلميَّة، فهي أداة من أدوات تكريس الوظائف غالبًا وآخر ما تفكر في البحث العلمي، وهذا يفقدها أهمّ شرط من شروط نجاحها وهو الاستقلال عن أيِّ مؤثر خارجٍ ليس من طبيعة رسالتها العلمية ولم يعد منهاجها لتخريج باحثين يُواكبون آخر ما استجد في مجالهم ويبدعون فيه، إنَّما تخريج من يملأ الفراغ في مختلف مؤسسات المجتمع الأخرى بحدٍّ أدنى من المعرفة التقليديَّة التي لم تراجع طيلة عقود.

وعليه فنخشى أن لا تُعد كليات القرآن الكريم مؤسسات بحثيَّة؛ وذلك لأنَّ الدِّراسات العُليا هي ـ معظمها ـ وسائل للشهادات العُليا من أجل الوظائف، وهذا لا مانع فيه ضمن ضوابط الشرع ولكنَّ الخطر من ذلك أن تعاني من إشكاليَّة أعمق حول صلتها بالبحث العلمي، وكيفية ربط الأخير بالتنمية والمجتمع، فضلًا عن إشكالية المنهجيَّة العلمية، إذ إنَّ مصيبتنا نحن المسلمين اليوم هو انتكاس المنهجيَّة العلمية في البحث العلمي في إطار الدِّراسات القرآنيَّة العُليا، والتي تتلخص في مشكلتين:

أوّلهما: تتمثل في أنَّ الباحث قد حَوَى من علوم القرآن ما قد حَوَى، واستوعبه أيّما استيعابٍ، بَيْدَ أنَّه لا يُدرك أين يضع مداركه، ولا كيف يوظف علمه.

ثانيهما: تتمثل في وعي الباحث لخطورة القضيَّة المنهجيَّة، إذ إنَّه يولي جانب المنهجيَّة ويُبدي اهتمامه بذلك، لكنَّه يُخطئ طريق التحمّل أو التلقي، فبَدَلَ أن يتلقى عن حنيفيَّة هذا الدِّين وسماحته وحضارته نأى بنفسه وانصرف إلى الغرب كليَّة، أو إلى الاستبداد ورفض كتابة الآخرين بوساطة الفكر المتطرّف حتى صار ينظر إلى مَن حوله بعين الاستصغار والجهل لا بعين العلم والحكمة والأناة.. وبين هذا وذاك ضاعت القضيَّة المنهجيَّة في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.

ولهذا فإنَّ من جملة أزمة البحث العلمي في هذا الميدان لكليَّاتنا الشرعيَّة في جامعاتنا اليوم، تتمثل في اقتصار معلومات طلبة الدِّراسات العُليا على ما ورد في الكتب القديمة فحسب، وجمود الفكر عند فقه العبادات وفقه الأسرة مع التركيز على فقه المذهب عند الترجيح والتعصب له وإن كان مرجوحًا، وفقدان المنهجيَّة العلميَّة والمعالجة العصريَّة في بعض الدراسات البحثيَّة الإسلاميَّة، فضلًا عن طغيان النَّاحية الكميَّة فيها، مع خوف بعض الأساتذة المشرفين وطلبتهم من التعامل مع تكنولوجيا المعرفة.

وبالتالي فإنَّ أزمة البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة تكمن في مفهوم البحث العلمي ذاته وغياب التوازن الرَّحب المُسْتَمَد من رحابة الفكر الإسلامي وتنوعه وثرائه، وكذلك غياب الإنصاف، وغياب صفة العلميَّة ولاسيما صفة الاجتهاد المتجددة ـ أعني المنضبطة وفق فقه الواقع ـ وهو غياب يرجع إلى غياب الأهليَّة الحقيقية للباحث. وكذلك انتكاس المنهجيَّة في بعض تلك الأبحاث، كلُّ هذا يؤخر عجلة البحث

العلمي الإسلامي في العصر الحاضر، وإليك إيضاح ذلك أكثر من خلال ما يأتي:

المطلب الأوَّل: البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا (بين التكرار الممل.. والتجديد المخل):

إنَّ المتأمل في آلاف الرَّسائل الجامعية في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا يلحظ فيها التكرار والتشابه، جمعًا وتصنيفًا وإعادة إنتاج، وهي تُقدَّم على أنَّها أبحاث علميَّة، وبعضها ـ إذا ما قلت معظمها ـ لا يحتوي أصلًا على إشكاليةٍ يُعالجها أو سؤال يجيب عليه، فضلًا عن القطيعة بين موضوعها وبين العصر الذي تعالج قضاياه في الماضي.

وعناوين الرسائل أو الأطروحات المكرَّرة بين الباحثين، وآلية تسجيلها تنمُّ عن حال الجامعات وما تعانيه اليوم، فلا توجد خطة بحثية في الجامعات الإسلامية يتمُّ من خلالها توجيه البحوث وتكاملها أو على الأقل مراجعة تلك العناوين والتأكد منها من قبل متخصّصين في الإنترنت، وإن وجدت فهي شكلية تعبر عن الأزمة أكثر، بل الأدهى من ذلك وأمر أنَّ بعض اللجان في الدِّراسات العُليا تؤيِّد وتؤكد على دراسة الموضوع نفسه وإن كان مدروسًا من قبل باحثين آخرين في جامعةٍ أخرى، وهذا ما يؤخر عجلة التطوّر والابتكار في هذا الميدان وتوظيفه، فضلًا عن كون عنوان البحث لم يكن شاملًا أو واضحًا لما يحتويه ذلك البحث، حيث التكلف والصنعة الكلاميَّة.

أمَّا النتائج التي تتوصل إليها تلك البحوث في الدِّراسات القرآنيَّة فهي في معظمها وصفيَّة أكثر منها تحليلية.

.. هذا وأرجو من إخواني وزملائي الباحثين في هذا المجال أن لا ينزعجوا من هذه الحقيقة، أو يصفوا هذا التعبير بالقاسي، فالمتكلم منهم وهو معنيٌّ بذلك؛ لأنَّ البحث العلمي عنوان واضحٌ لا مُجاملة فيه، وما يُقدَّمُ تحت هذا العنوان من خلال هذا المؤتمر الموقر يدعو لإعادة النَّظر بكلِّ جديَّةٍ في تطوير الدراسات القرآنيَّة، ومنها البحث العلمي في هذا الميدان وكيفيَّة ترصينه، إذ المعهود أن يُقدِّمَ البحثُ العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة إضافة نوعيَّة بفكرةٍ معتدلةٍ في أطروحاته وعنوانه وأسلوبه، حتى يوصفَ بالتجديد في مجاله، ولكن ـ للأسف الشديد ـ واقع الحال يُثبتُ غير ذلك؛ إذ إنَّ بعض ما يُقدَّمُ في الدِّراسات القرآنيَّة هو اجتزاءٌ وَبَترٌ، وفي بعض الأحيان تشويهٌ للصورة الحقيقيَّة للإسلام المعتدل، فلم تفلح مثل هكذا دراسات في تقديم الجديد لما ينقصها فَهم الواقع أو الأمانة التي تقتضيها صفة العلميَّة.

وكلنا يعلمُ أنَّ صفة البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا، تعني اكتشاف سُبُل التجديد في موضوع هو مظنَّة له، والجديد نسبيٌّ دائمًا؛ إذ المعرفة تكاملية وتراكمية. والجدة لا تعني الإضافة بقدر ما تعني العمق في فَهم الموضوع وتحليله ونقده، وهذا العمق لا يتأتى إلا من صراحة السؤال المتعلق بموضوع البحث الذي يستبعد أيّ خلفيات مهما كانت، والذي ينبغي أن تكون أجوبته حياديَّة في نقاش موضوعه الإسلامي؛ وذلك لأنَّ البحث في إطار الدراسات القرآنيَّة إذا لم يخضع للتساؤل، فكيف يوصف بالعلميَّة؟!

والمتأمّل في بعض مُخرجات تلك الأبحاث يجد أنَّ أصحابها قد دخلوا دائرة الجمود والتضييق، فتارة العصبية وتارة الحزبيَّة، ممَّا

ضاقت عليهم تلك التوجهات وتلك الخلفيَّات شيئًا فشيئًا، حتى غلب عليهم تأويل النُّصوص وإقحامها والالتفاف عليها دون ضوابط تبرِّرُ ذلك، فضلًا عن اتخاذ طابع التبرير والتلفيق والتوفيق بما يتناسب وتوجّههم.

حينئذٍ ستنعدم شخصيَّة الباحث تمامًا وسيعيش في حالةٍ من التردد فيما لديه من معطيات ومسلمات وبين الصراحة ـ بكلِّ شفافية ـ في نقد ما يدرسه من أفكار، وستكون الغلبة للجانب التبريري وإنكار ما يتبادر للذهن من رؤى نقديةٍ علميَّةٍ حقيقيَّةٍ.

وهذا ما يُثير التساؤل حول ما آلت إليه الدِّراساتُ الإسلاميَّةُ ولاسيّما القرآنيَّة من تقليدٍ وتكرارٍ، وكأنَّ ما يتمُّ تحت عناوين البحث العلمي كما قيل هو: «محاولة للحفاظ على سكون جثة هامدة تحتضر فتكون الرِّسالة هي إطالة الحياة فيها وتأخير أجل وفاتها، بينما المجال الذي يتمُّ البحث فيه يعج بالحيوية والتوقد ويُضيء لآفاق رحبة واسعة تسعف عالمًا يعيش على وجل من قدوم صراعات وتنابذ جاء الإسلام يحذر منها»[(١)]. فكيف إذا يُسهم البحثُ العلمي في تثوير دعوة الإسلام في مثل هكذا أجواء موبوءة برائحة التعصب والتمييز والكراهية؟!

ونحن نتطلع للمزيد من الإبداع في خدمة البحث العلمي في القرآن وعلومه، وتوحيد الجهود بين الباحثين لتقليل الهدر، مع الاهتمام بتطوير طرق التدريس لمقررات القرآن الكريم والتفسير وعلوم القرآن

(١) أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية (انتكاس المنهجية في بناء المعرفة): عبد الرحمن حللي، مجلة الملتقى للإبداع الفكري.

وأصول التفسير والتجويد والقراءات ومناهج المفسرين وغيرها، والاستفادة من الدراسات الميدانية والبحوث المعمَّقة بالتعاون مع خبراء طرق التدريس لتطوير طرق تدريس هذه المقررات، واستثمار التقنيات في ذلك.

إنَّ أمام الباحثين في حقل القرآن الكريم وعلومه الكثير من التحديات لتطوير هذا القطاع تطويرًا يعيد القرآن وعلومه إلى مقدمة ما يهتم به المجتمع، ويتخذه نبراسًا لمستقبله، فهل يعيَ الباحثون في القرآن وعلومه هذه الحقيقة؟ هذا ما يُمكن أن نؤكدَ عليه وننتبه إليه عند كتابتنا للرسالة أو الأطروحة لنستلهم روح الإسلام في موضوعاتنا ومن أجل أن نكرِّسَ الاعتقاد بأن ما نعلمه من التوازن والوسطيَّة والانفتاح ـ ضمن الضوابط ـ هو بعض الإسلام، وأن ما يكتنفه الإسلام من آفاق رحبة لسعادة الإنسان أوسع ممَّا نقدِّمهُ للنَّاس من أفكار وأبحاث.

المطلب الثاني: آفة الموضوعيَّة في البحث العلمي في ميدان الدِّراسات القرآنيَّة العُليا:

إنَّ واقع البحث العلمي في الدراسات القرآنيَّة العُليا في جامعاتنا اليوم يُعاني من آفات عدة يُدركها المرء عندما يخوض هذا الغمار بدءًا من اختيار الموضوع، مرورًا بوضع خطة البحث ومناقشتها، وصولًا إلى إتمام البحث ومناقشته وإجازته. ويُعدُّ السَّبب الرَّئيسي لهذه الآفات هو تطرف الفكر، وهذا التطرف هو نتاج النظرة الضيِّقة في بعض العلوم الإسلامية من خلال تبنّي رأيٍ واحدٍ غير مدعوم بدليل صحيح والاقتصار على منهاج يُحارب الواقع بكليَّته. ومن بين مظاهر تلك

الآفات المرَضية التي أصيب بها البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا:

أولًا: الانفراديَّة في اختيار موضوع البحث: عندما تنقدح في ذهن بعض الباحثين فكرة لأبحاثهم لا يُناقشونها مع زملائهم، ولا حتى مع أساتذتهم وذلك خوفًا من أن يُسرقَ الموضوع، وهذا يستدعي الاستكبار والتهكم، إذ كيف يُمكن لأحدٍ أن يسرقَ بحثه من خلال عنوانه وفكرته، فهذه مسألة غير دقيقة ولا يُمكن لأحدٍ أن ينجز ما أريد إنجازه وحينئذٍ لا يُمكن سرقته إذ هو جزء من إدراكية الباحث.

ثانيًا: التغافل عن أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنيَّة: لاسيما وكلنا يعلم أنَّ تحديد نظام الأولويات في شريعتنا الإسلاميَّة قائم على قاعدة المصالح والمفاسد، وهي قاعدة قرآنية معتبرة قوامها دفع الشر وجلب الخير، أو دفع الضر وجلب النَّفع، وهو ما يعبِّرُ عنه القرآن الكريم بالسيئة والحسنة، قال العز بن عبد السلام: «ويعبر عن المصالح والمفاسد بالخير والشر، والنَّفع والضر، والحسنات والسيئات؛ لأنَّ المصالحَ كلَّها خيورٌ نافعات حسنات، والمفاسدَ بأسرها شرورٌ مضِرَّات سيئات، وقد غلب في القرآن استعمال الحسنات في المصالح، والسيئات في المفاسد»[(١)]. لذا يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى مراعاة الأولويات؛ لئلا يتقدم ما حقه التأخير ولا يتأخر ما حقه التقديم، قال

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي (ت٦٦٠هـ)، تح. محمود الشنقيطي، ط دار المعارف بيروت ـ لبنان: ١/ ٣ ـ ٤.

تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢)، فهنا عندما دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ربه أن يرسل رسولًا أخَّرَ جانب تزكية الأخلاق إلى آخر مرحلة بعد تلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة. وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم حريصين كلّ الحرص على أن يعرفوا الأَوْلى من الأعمال، ليتقرَّبوا إلى الله تعالى به، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أحب الأعمال وأفضلها إلى الله تعالى. وبالتالي فإنَّ الباحث اليوم في مجال الدراسات القرآنيَّة مطالبٌ بمراعاة التقديم والتأخير، أو الترتيب في الموضوعات المختارة، وذلك طبقًا لنظام الأولويَّات، فإذا ما كان درء المفسدة مقدَّمًا على جلب المصلحة فمن بابٍ أوْلى دفع الأفسد مقدَّمٌ على دفع الفاسد؛ وجلب الأصلح مقدَّم على جلب الصَّالح. حينئذٍ يجوز ارتكاب أخف الضررين لدفع أعظمهما، وهذا ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث لم يقسم الأرض المغنومة من الكفار، مع أنَّ ظاهر القرآن يدل على أنَّ أربعة أخماسها للغانمين لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾(٣). أي: والأخماس الأربعة الباقية للغانمين. ولم يفعل هذا سيدنا عمر رضي الله عنه، بل لم يقسم الأرض المغنومة على الغانمين وإنما تركها لينتفع بها جميع

(١) سورة البقرة: ٤٤.
(٢) سورة البقرة: ١٢٩.
(٣) سورة الأنفال: من الآية ٤١.

المسلمين في المستقبل؛ لأنها لو قسمت لم يبق خراج يكفي الجيوش لحماية بلاد المسلمين فضلًا عن أنَّ الإمام مخيَّرٌ بين قسم الأرض المغنومة على الغانمين وبين استبقائها لانتفاع جميع المسلمين(١).

وعليه فيجب على النَّاظر أو الباحث ـ في هذا الميدان ـ دفع شبهات الإلحاد والملحدين، إذ إنَّ درء الشبهات يفرض نفسه كأولوية عظمى، تحقيقًا لما تقدَّم، قال ابن أمير الحاج: «واعتناء الشرع بدفع المفاسد آكد من اعتنائه بجلب المصالح بدليل أنه يجب دفع كل مفسدة، ولا يجب جلب كل مصلحة»(٢). لاسيّما وأنَّ فريقًا من غير المسلمين عمدوا إلى تشويه صورة الإسلام من خلال مهاجمة تشريعات القرآن في قضايا مهمة، أهمّها قضايا المرأة وحرية العقيدة، وادعاء أنَّ الإسلام لا يمتلك نظامًا كاملًا شاملًا لكلِّ مناحي الحياة، وهذا الفريق يتولى كبره نفر من المستشرقين الحاقدين.

ولو غاص الباحثون حقًّا في بحار القرآن الكريم لأخرجوا لنا دُررًا من تشريعاته تضمن لوحدها إقناع الآخرين وسعادة الجميع.. فمشكلتنا اليوم مع غيرنا تكمن في عدم نجاحنا بتصدير تشريعات القرآن الكريم كما أنزلها الله تعالى، وكما تولاها رسوله الكريم وطبقها على أرض الواقع.

---

(١) ينظر: المصالح المرسلة: للشيخ محمَّد الأمين بن محمَّد بن المختار الجكني الشنقيطي، ط١ الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة ١٤١٠هـ: ص١٨.

(٢) التقرير والتحرير في علم الأصول: ابن أمير الحاج، محمد بن محمد (ت٨٧٩هـ)، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: ٣/ ٢٨.

لذا فإنَّ دفع الشبه عن القرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّة، صار واجبًا لا يُمكن التفريط فيه ويأثم أهل الاختصاص بالتغافل عنه، فهو ميدان جهاد الباحثين، ومَنْ لهذا إن هم قصَّروا؟

ولا نسمع لدندنة (الأوْلى أنْ ندعَ الشبهة تموت بدلًا من الرَّد عليها)؛ وذلك لأنَّ الواقع يكذّبها إذ إنَّ الشبهة لا تموت، بل يتوفر لها دائمًا من يعمل على إذكائها أو إحيائها وبعثها من جديد.

وفي المقابل فإنَّ هنالك فريقًا من المسلمين لا يفهم تشريعات القرآن الكريم، ولا يحسن عرضها، فتراه أنَّه يعتني اعتناءً كبيرًا بجانب الأحكام، ويغفل عن عَرض الاستدلال بالقرآن، أو ربما يستدل ولكن يُنزله حسْب فَهمه أو مذهبه من دون ضوابط شرعيَّة، فهؤلاء قد يُسيئون من حيث يظنُّون أنَّهم يُحسنون صُنعًا. ويذكرنا هذا بقول بعضهم: الإسلام قضية عادلة تصدى للدفاع عنها محامون فاشلون وهذا ما يدعو الباحثين في تخصص القرآن وعلومه أن يولوا اهتمامًا كبيرًا في تصدير أبحاثٍ جديَّةٍ تهدف إلى عرض التشريع الإسلامي في ثوب جديد تقتفى فيه مقاصد القرآن وغاياته، ويُشدِّدُ فيه على الثوابت بكلِّ حكمةٍ وبصيرة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، ولا يُمكن القيام بذلك إلا بعد دراسة مقاصد القرآن في تشريعاته دراسة دقيقة معمَّقة، لكي يعيَ الباحثُ أبعاد ما يُسطّر في بحثه.

إذن فإنَّ ردَّ الشبهات ودحرها بشواهد علميَّةٍ وأدلةٍ علميَّةٍ، باتَ من

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

أوْلى الأوْلويات، ولاسيّما بعد ظهور شبكة الإنترنت وانتشار وسائل المعلومات وتعددها مع استحالة السيطرة عليها، كل هذا يفرض علينا نوعًا من اليقظة نحو هذا الخطر الداهم، بل يُخشى على الباحثين المخلصين أن يكونوا جاحدين حق القرآن عليهم من حيث نظنّ أنَّهم يُحسنون صنعًا، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة عليه رحمة الله تعالى: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ولا وفي بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين»(١).

ثالثًا: البُعد عن التجديد والابتكار: ابتُليت الدِّراسات القرآنيَّة العُليا في جامعاتنا بتكرار الموضوعيَّة ونقلها وهي آفة تدغدغ المتكاسلين في طلب العلم، فضلًا عن عدم مواكبتهم للواقع المتطوّر. إلا إذا ظهرت أصول أو ضوابط جديدة، مثلًا كما هو الحال في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم إذ بدأ البحث في هذا الموضوع قبل أن تستقرَّ أصول منهج التفسير الموضوعي ويستوي على سوقه، فليس من الحق بمكان أن لا نُعيد مثل هكذا دراسات وننكر العقل البشري وقدرته الإدراكية والنَّقديَّة والإبداعية لكلِّ باحث لاسيما وأنَّ التفسير الموضوعي علمٌ مبناه القراءة والتدبر والتأمُّل للخروج برؤية قرآنية كليَّة، وهذا ما تختلف أفهام الناس فيه. وبالتالي فمظنَّة الاختلاف فيه واردة وكذلك الزلل. وما

(١) درء تعارض العقل والنقل: لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تح. محمد رشاد سالم، ط دار الكنوز الأدبية ـ الرياض ١٣٩١هـ: ١/ ٢٠٧.

يُحكم على التفسير الموضوعي يُحكم على مناهج المفسِّرين، وكذلك بقيَّة الموضوعات الشرعيَّة.

رابعًا: التراكمية في المعلومات وحشوها: إنَّ البحث العلمي الإسلامي ليس عرْض معلومات متراكمة وتوثيقها، أو عملية استقرائيَّة وصفيَّة فحسب، وإنَّما هو تحليل ونقد وتجريد أطر جديدة من المعلومات وهي أمور ـ للأسف الشديد ـ لا وجود لها غالبًا في واقع الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.

المبحث الثالث

آفاق البحث العلمي
في إطار الدِّراسات القرآنيَّة العُليا

إنَّ طبيعة المعرفة الدينية الغالبة على البحث العلمي في الدراسات القرآنية تجعله يتميَّز بخاصيَّةٍ تُميِّزهُ عن غيره كونه بحثًا دينيًّا يرفض التطرُّف والنِّفاق أو التقليد من غير علم؛ لأنَّه يلتصق بالفطرة والعلم وهو منهجٌ ينبغي الالتزام به طيلة اعتناق المسلم لدينه، إذ إنَّ إعمال العقل في الإسلام هو قضيَّة منهج للبحث عن الحق أيًّا كان، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

وهذا يؤكد لنا مدى التحام الإسلام بالعلم، لذلك كانت دعوة الإسلام للوسطيَّة راسخة الجذور لا تخشى من تطرّف بعض الجاهلين ما دام ذلك نتيجة الالتزام بمنهج علميٍّ راسخ يهدف إلى بناء المعرفة وتنميتها المعتمدة على التوازن والاعتدال وقبول الآخرين كطريق للتفوّق

(١) سورة فصلت: ٥٣.

والنَّجاح. وبما أنَّ البحث العلمي هو أحد أهمِّ خصائص العقل المسلم، فيجب أن يكون من أول ما يخضع لإعادة التشكيل المنهجي، وأن يترتب لهذا الغرض في مصارف الضروريَّات، ومقدّمات العزائم، ذلك أنه: «إذا جاز الترخص في شيءٍ فإنَّ البحث العلمي لا ينبغي أن يكون من ذلك بحال؛ لأنَّه بمثابة القلب من جسد الأمَّة»[(١)]. وللتخلص ممَّا يشوب البحث العلمي الإسلامي من درن الانفراديَّة ومن أجل مواكبة العصر المتطوّر وإعلان بحث علميٍّ رصين يخدم الدِّين الإسلاميّ والمجتمع من جهةٍ، ومن أجل بناء وتكوين مؤسسات أكاديميَّة وعلمية معتدلة المناهج، ذات صبغة حقيقية واقعية، تواكب سبل التجديد من جهةٍ أخرى، لا بد من خريطةٍ واضحة المعالم، ومسارات دقيقةٍ تنتهجها الجامعات الإسلامية أو كليات القرآن وعلومه، ومن بين تلك المسارات:

أولًا: تطبيع الأبحاث أو المناهج في ميدان الدراسات القرآنية بطابع وطنيٍّ بعيدٍ عن التخندق والتعصب في ظل إصلاح جامعيٍّ دائم؛ وذلك من أجل ربط التكوينات والأبحاث الجامعية بالمجتمع، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تهدِّد بالتراجع والانكسار في غياب أفكار جديدة تنسجم وتحوّلات الواقع.

حينئذٍ نضمن استمرار هذه الأبحاث وتطوّرها من خلال الدِّراسات القرآنية في أداء رسالتها المتعلقة بترسيخ الهويَّة الواحدة، وخدمة المنهج المعتدل، والاستجابة لحاجة المجتمع التنموية بمفهومها الواسع.

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعيَّة: فريد الأنصاري: ص١.

ثانيًا: تطوير آليات الاجتهاد وتجديد النَّظر في مناهج البحث العلمي في الدِّراسات القرآنية، وكيفيَّة ربطها بقضايا المجتمع المتغيِّرة سواء على مستوى البيئة، أو الصحة، أو الاقتصاد، أو العَلاقات الاجتماعية، أو قضايا التعايش وحوار الحضارات، أو غيرها. ممَّا يتطلب التأنّي والنَّظر والتأكيد على مثل هكذا تطوّرات متسارعة.

ثالثًا: ضرورة الاطلاع على مختلف الجامعات ومراكز البحث العالميَّة، والاتصال بها، والاستفادة منها في بلورة التجديد للدِّراسات القرآنيَّة العُليا في جامعاتنا، لاسيما وأنَّ هذا التخصص قد أصبح في الجامعات العربية والغربية مندمجًا في مراكز البحث الاستراتيجية الكبرى التي تتخصَّصُ في العَلاقة مع العالم الإسلامي سواء على المستوى المعرفي والثقافي، أو على المستوى الاقتصادي أو الحقوقي أو السياسي.

رابعًا: من اللازم علينا منذ وقت مبكر أن نُدركَ أنَّ البحث العلمي في الدراسات القرآنية العُليا ليس فكرًا منحرفًا أو ترفًا ذهنيًّا، بل هو ضرورة تقتضيها مصالح الفرد والمجتمع. ومن أجل التفوق والازدهار في البحث العلمي في هذا المجال لا بد من مراعاة أركان أسلوب الكتابة التي يجب أن يُصاغَ بها ذلكم البحث وفي مقدّمتها السَّلامة من الأخطاء النَّحوية والبلاغية، فضلًا عن الإملائيَّة، إذ يجب على الباحث أن يحرصَ أشدَّ الحرص على هذا الجانب.

ومن ثمَّ التركيز في التعبير بكلِّ وضوح، وبإيجاز غير مُخلٍّ، وذلك بصياغة أكبر قدرٍ ممكن من المعاني في أقل قدرٍ ممكن من الكلمات؛

لأنَّ كثرة الألفاظ في غير مواضعها من الحشو الممل، وهذا ما يشكو منه البحث العلمي في إطار علوم القرآن ولاسيّما التفسير الموضوعي.

خامسًا: نظرًا للواقع أو التحوّلات التي تعرفها نظم التكوينات والبحث العلمي بجامعاتنا، والتي تسير في إيجاد جسور للتواصل بينها، ودخول القطاع الخاص إلى الاستثمار في مجال التعليم العالي، وتكاثر الجامعات أو الكليات الأهليَّة، ممَّا يفرض على تخصُّص الدِّراسات القرآنيَّة فتح آفاق للتنسيق والتعاون مع التخصصات الأخرى، وكذا السَّعي إلى تطوير شخصيَّة الباحث الذاتية لتقديم أفكار جديدة للبحث تنسجم وفقه الواقع وتفسيره، فضلًا عمَّا يأتي:

المطلب الأوَّل: جديَّة البحث العلمي وأصالته في ميدان الدِّراسات القرآنيَّة العُليا:

تعد الدراسات القرآنيَّة بالنِّسبة لغيرها وهج المفكرين والمبدعين والمتألقين، وأسئلة المؤسِّسين بمقوِّمات العطاء والاستمرار، ولم تلبث أن ترسخت تقاليد التكوين العلمي والبحث فيها، ورسمت لنفسها خطًّا واضحًا في كلياتٍ خاصَّة، أو وسط كليات الآداب والعلوم الإنسانيَّة والتربية والقانون، فضلًا عن الكليات المتخصِّصة في أصول الدِّين والشريعة بمختلف الجامعات العربية والإسلامية، طابعها التكامل والتنوّع، إلى أن تخرجَ بوساطتها أفواجٌ من العلماء والأساتذة الباحثين، وأنجزت رسائل وأطروحات في سلك الماجستير والدكتوراه، فاستجابت بذلك لحاجاتٍ ملحَّة في المسيرة الثقافية والعلميَّة لبلاد

المسلمين بصفةٍ في قطاعات هامَّة وحيوية ذات صلةٍ وطيدة بالتنمية في أبعادها الدينيَّة والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وقد أسهمت في تخريج نخبةٍ متخصِّصةٍ في تحقيق المئات من المخطوطات النَّفيسة في مختلف علوم الشريعة. ومدت الجسور من خلال الدراسات الفكرية الأكاديمية مع مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار مبدأ التكامل المعرفي القائم على تنوع المعرفة ووحدة غايتها، فضلًا عن مدِّها التعليم بمئات الأساتذة المتخصِّصين في مناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية وعلوم الشريعة.

على الرَّغم من أنَّ عدد جامعاتنا ومراكز البحوث قد تجاوزت المئات إذا ما قلنا الألوف، بَيْدَ أنَّ أوضاع الأبحاث العلميَّة لم تتغير واحتياجنا إلى الآخر يزيد!! إذن فما هي حاجة تلك الجامعات ما لم تثبت وجودها وكفاءتها من خلال مُخرجات أبحاثها!.

علمًا أنَّ الأبحاث في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا تتزايد، وإنِّي لأخالف كل الأقوال السَّائدة والمسلَّمات الشائعة عن غياب البحث العلمي الإسلامي في جامعاتنا، وإن كانت أغلب تلك الأبحاث في الجانب النَّظري. والدليل على ذلك لو استعرضنا عدد الرَّسائل والأطروحات الجامعية اليوم (ماجستير، دكتوراه) لأدركتنا حالة من الدَّهشة، ولكنَّ السؤال ما مصير تلك الأبحاث العلميَّة؟!

وهل من المعقول أنَّه لا يوجد فيها ما هو وسطيٌّ أو جدير بالتطبيق ولو بنسبة ١٠% على الأقل؟! ثمَّ هل هناك في جامعاتنا الموقرة مراكز تتابع ما يتمُّ إنجازه من أبحاث علميَّةٍ في مجال القرآن وعلومه وتسعى

إلى الصَّالح منها والمفيد موضع النَّشر. لاسيما وأنَّ مثل هكذا مراكز ستجعل الباحث يهتمُّ كثيرًا في اختيار موضوعه بكلِّ عقلانيَّةٍ، وعلميَّةٍ دقيقةٍ، وفكر معتدل.

وهو الأمر الذي يدفع غالب الباحثين في البلاد العربيَّة إلى بيع رسائلهم وأطروحاتهم في الخارج بثمن بخس معدود، ليستفيد منه أصحاب المكتبات التجارية دون مراعاة الجهود المبذولة في كتابة ذلك البحث ممَّا يدعو الباحث إلى اللامبالاة وعدم الدَّقة في كتاباته المستقبليَّة.

المشكلة إذًا ليست في غياب البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة، وإنَّما في غياب نظام الأولويات والواقعيَّة لدى كتابها، وفي الوقت نفسه غياب الدوافع الحقيقية والرَّغبة الصَّادقة في الاستفادة من الأبحاث العلمية الإسلاميَّة المعتدلة في الفكر والمنهج.

وهذا لا يعني أيضًا أنَّ جامعاتنا اليوم قد أغفلت البحث العلمي الإسلامي الرَّصين، بل استطاعت أن تقدِّمَ أبحاثًا بالغة الأهمية، وأخرجت إلى الوجود مجموعة من الباحثين المتخصِّصين الذين صرفوا جزءًا من أعمارهم في إعداد أبحاثٍ على درجةٍ عاليةٍ من الدِّقة والموضوعيَّة والوسطيَّة، ولكن للأسف أين هي اليوم؟! إذ ذهبت أدراج الرِّياح ولم يسمع بها ولا عنهم أحدٌ في بعض البلاد العربية والإسلاميَّة. وفي المقابل فليس من حقنا وأد كل إنجاز من شأنه أن يُحققَ انتصارًا ولو جزئيًّا في أيِّ منحى من مناحي الحياة، أو أن ننشر الإحباط في الأوساط العلميَّة ولاسيما جهود الباحثين في الدراسات القرآنيَّة لما لهم من دور فعَّالٍ في تربية الأفراد وتنشئتهم النَّشأة الإسلامية الصَّحيحة

وإصلاح المجتمع، بل علينا أن نوجِّه وننصح بعد دراسة الأسباب الكامنة وراء المنهج أو أبديَّة التخلف.

إذن البحث العلمي في مجال القرآن وعلومه في جامعاتنا ليس معدومًا أو متوقفًا، بل حاضرًا وموجودًا في الغالب منها، لكنَّ التنظيم العلمي والتطبيق هما الغائبان والاستفادة ممَّا يتم إنجازه، ولو في إطار محدود هو ما نفتقده، وما تنشره المجلات العلمية المُحكمة في جامعاتنا، لا تجد أدنى اهتمام؛ وذلك لأنَّ الكوادر المسؤولة منصرفة ومشغولة بأمور أخرى لا تجد وقتًا للنَّظر في هذه الأبحاث، ويكاد لا يعنيها من قريب أو بعيد، تقدم أو تعثر البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة.

ونخلص من هذا إلى أنَّ البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة ليس قليلًا في جامعاتنا، وإنَّما ينقصه التنظيم العلمي، والأخذ بأساليب التطوّر وأسباب النُّهوض، ومواكبة الواقع. وعليه فإنَّ الباحث مسؤول عن مُخرجات بحثه، ممَّا يجب عليه أن يوجِّه الفرد والمجتمع وينفعهما من خلال الطرح السَّديد والفكر الوسطي معضدًا ذلك بالأدلة الصَّحيحة والحقائق العلميَّة، بعيدًا عن الإقحام والتأويل الفاسد.

المطلب الثاني: ربط مُخرجات البحث العلمي في الدِّراسات القرآنيَّة الموضوعيَّة بالمستجدات:

ويعني ذلك انسجام البحث في إطار الدراسات القرآنيَّة مع متطلبات الواقع المتغيِّر بشكل يُعزِّز رسالة هذا الدِّين أولًا ورسالة البحث ثانيًا، ويُظهر من قدرته على مواجهة التغيير الحاصل في المجتمع، والتنبؤ به

قبل حدوثه، وتوفير تسهيلات التدريب الملائمة لمتطلباته، فضلًا عن تنمية الوعي الدِّيني لدى قطاع الأعمال ومؤسساته بأهميَّة أن تكون سعادة الإنسان والمجتمع محورًا لنشاطه الاقتصادي وليس لمجرد الكسب المادي.

هذا ومن أجل تفعيل أبحاث الدراسات القرآنيَّة وإنتاج المعرفة معًا وتسجيل طفرات متميِّزة في هذا المجال، لا بد من تحقيق ما يأتي:

أولًا: لا بد من دعم الأبحاث في القرآن وعلومه في جامعاتنا اليوم؛ وذلك لأنَّها أحد الرَّكائز التي تؤدي إلى تطوير المشاركة المجتمعيَّة في البحث العلمي، وغالبًا ما يكون له أثر إيجابي على الطرف الدَّاعم والمؤسسة البحثيَّة.

ومن هنا فإنَّ من أبرز سمات عصرنا الحاضر التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحرزه العالم، والبحث العلمي في إطار علوم القرآن وتطويره يُشكل القاعدة الأساسيَّة لقدرات الدول على الاختراع السِّلمي، والابتكار الجدي، وتطوير المناهج والفكر.

وكلما تعاقبت أنشطة الأبحاث القرآنيَّة لاكتشاف الجديد ومحاكاة الواقع ولانتظام حياةٍ أفضل لمعيشة الإنسان، كلما ازدهرت الدولة وتصدَّرت وذاع صيتها. علمًا أنَّ الاستفادة من نتائج الأبحاث والدِّراسات القرآنيَّة تبدأ من مؤسسات الأبحاث والتطوير إمَّا باستجابتها لطلب الفرد وقطاع ما في المجتمع، أو بمبادرتها لوضع حلول ودراسات تهدف إلى تعزيز حفظ الإنسان وكرامته وحقوقه.

إذ تبدأ حينها هذه المؤسسات بتشخيص المشكلة ودراستها، ثمَّ

وضع المقترحات الوافية والكفيلة بمعالجتها للتوصل إلى الحلول، ومن ثمَّ التوصيات اللازمة بها على أنَّ تطابق هذه الحلول واقع الحال لدى هذه المؤسسات ويتمُّ اختبارها والتأكد من فاعليِّتها قبل إعدادها بصورة نهائية وتقديمها إلى أفراد المجتمع وقطاعاته، أو المؤسسات المستفيدة(١).

وهذا يعني أنَّ تطوير البحث في ميدان الدِّراسات القرآنيَّة في بلدٍ ما، مؤشرٌ دال على حيويَّة حضارة ذلك البلد وتقدمه ورقيِّه؛ ذاك لأنَّ منشط البحث يرتكز على منهج محدد عماده الخبرة والتجربة، ويغدو ذلك المنهج طريقًا واضحًا محددًا لتنظيم النَّشاط من أجل تحقيق الهدف الإسلامي المعتدل المنشود.

إذن نخلص ممَّا سبق إلى أنَّه صار من الواجب على الجامعات عامَّة وكليات الشريعة خاصَّة أن ترفع مِن مستوى الأستاذ وطالب الدِّراسات القرآنيَّة العُليا للقيام بالبحث العلمي، ونشر المعرفة، وبحث المشكلات التي تواجه المجتمع في الميادين الحياتية المختلفة، والعمل على إيجاد حلول ناجعة تعمل على رفد هذه المؤسسات بالكوادر من الخرِّيجين كي يوظِّفوا نتائج أبحاثهم في العمل على تنمية المجتمع في جميع ميادين الحياة.. ولرفع مستوى البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس المختصِّين في القرآن وعلومه لا بد من تنفيذ بعض الآليات الهامَّة، ومن أهمِّها:

عقد الدورات المتخصِّصة للمدرِّسين لصقل المهارات البحثية

(١) ينظر: دراسة تحليلية للتكامل التكنولوجي الصناعي في الكويت: يوسف السلطان، وهو بحث منشور في مجلة المال والصناعة، العدد (١٢)، لسنة ١٩٩٤م.

لديهم، وعقد محاضرات حول واقع البحث ومشكلاته وطموحاته، وعقد المؤتمرات الدَّاخلية والمشاركة فيها مع توفير كافة المستلزمات الورقية والإلكترونية والسكرتارية للبحث العلمي، وضرورة إصدار النَّشرات والمجلات المتخصِّصة ودعم المؤلّفات العلمية والباحثين، ودعوة المؤسسات العلمية والدَّاعمة للمشاركة في عملية البحث العلمي، إذ لا يستطيع الإنسان فصل الخرِّيج عن مجتمعه الذي يعيش فيه وخرج منه، لذا كان من الضروري أن يكون للأبحاث دورها في خدمة المجتمع المحلي. ولا يتمُّ هذا إلَّا برفع المستوى الثقافي والوعي المجتمعي والعمل على معالجة المشكلات التي يعيشها المواطنون دون نسيان تلبية حاجات المجتمع.

ومن أجل النَّجاح في هذا المجال لا بدَّ من آليات تنفيذية تساعدنا على إنجاز مهمِّتنا هذه، وأذكر من هذه الآليات؛ عقد المحاضرات المفيدة والهادفة في الجامعات من قبل أساتذةٍ متخصِّصين مع متابعة ذلك دوريًّا ودعوة الطلبة وأبناء المجتمع المحلي لحضور النَّدوات والمحاضرات والمشاركة في ورش العمل والنَّشاطات داخل كليات القرآن الكريم والمعاهد الشرعيَّة، والتنسيق مع المؤسَّسات والهيئات، والجمعيَّات المعنيَّة للقيام بدراسات متخصِّصة في مجال القرآن وعلومه، وتفعيل دور وحدة التعليم المستمر، المتواصل والمتابع، مع التركيز على تقديم النَّشاطات الفكريَّة والثقافية الإسلاميَّة المتزنة استجابةً لمتطلبات الجامعة، وتقويةً لأواصر التواصل والتفاعل بين المؤسسات البحثيَّة والمجتمع.

وإذا ما أردنا التقصي عن قصور البحوث في هذا المجال، فهنالك

ثمَّة قصور في الرَّبط بين مُخرجات البحوث في الدراسات القرآنيَّة العُليا واحتياجات المجتمع، وذلك من خلال عدم توافق حاجات الواقع، وبين ما تقدِّمه بعض الأبحاث في هذا المجال، ممَّا أبعد تلك الأبحاث عن الميدان، بسبب تخلفها عنها وبُعدها عن المستجدات المعاصرة، فضلًا عن بعض العوامل التي تشكل تحديًا كبيرًا في هذا التدني، ومنها:

أولًا: ضعف الإحساس بالمسؤولية لدى بعض الباحثين في الدراسات القرآنيَّة تجاه خدمة الدِّين والمجتمع، إذ لا يُقدِّرُ بعضهم قيمة البحوث العلمية حول متطلباتها، ويعدُّونها نوعًا من البُعد العلمي الذي لا طائل من ورائه، ولا فائدة ترجى منه، والمهم عندهم الوظيفة.

وتبقى أبحاثهم تدور في فلك القدم والفردانيَّة والترقيات، ومثل هؤلاء يصعب عليهم تطوير أبحاثهم وانسجامها مع الواقع نظرًا لضعف الإحساس لديهم بالمسؤولية الدينيَّة والمشاركة البحثيَّة.

وقد أثبتت الدِّراسات الاجتماعية أنَّ من بين العوامل المؤثرة في المشاركة التطوعية الإيمان بدور المشاركة.

ـ ومنها مشاركة الباحثين فيما بينهم ـ في خدمة الإسلام والمجتمع، فالذين لديهم إحساس أكثر بالمسؤولية البحثيَّة والاجتماعية لهم دور أكثر فاعلية في تنمية المجتمع وتقدُّمه، وهم الأكثر رغبة في المشاركة[1].

(١) ينظر: الشراكة المجتمعية بين مؤسسات المجتمع والأجهزة الأمنية: راشد بن سعد الباز، ط مجلس التعاون ـ الرياض ١٤٢٨هـ: ٦١.

ثانيًا: تحميل بعض المشرفين على طلبة الدراسات القرآنيَّة العُليا أكثر من طاقاتهم، بل تعدَّت القضيَّة إلى دون النَّظر في التخصصات العلميَّة والدَّقيقة سواء في الإشراف أو المناقشات، إمَّا بسبب إدارة قسم الدِّراسات القرآنيَّة العُليا بتكليفهم وفق المحسوبيات، أو بطلب من الأستاذ ـ الغير متخصِّص ـ مباشرةً رغبة في الحصول على المال، أو رغبة في الإشراف على طالب مجدٍّ تعرفه الجامعة ليُقال عنه، أو ربما يكون متخصِّصًا بَيْدَ أنه يُريد أكثر من طاقته، ما يجعل مُخرَجات أبحاث طلبته ركيكة بعيدة عن الفائدة الإسلاميَّة المنشودة، والمستوى الطموح لأبناء ومؤسسات المجتمع.

ثالثًا: عدم كفاءة الباحث في بعض أقسام الدراسات القرآنيَّة العُليا ـ وإن عُدَّ من المحظوظين في قبوله في جامعة كذا ـ وقلة تأهيله في أساسيات البحث العلمي ومتطلبات تطبيقه، وسببه النَّمطية إذ إنَّ كثيرًا من الأحيان قد يأخذ هذا الباحث المكان من آخر أكثر استحقاقًا وكفاءة منه سواء بالواسطة، أو القرابة، أو الرِّشوة، أو غير ذلك. وهذا الشخص لا يُمكن أن يخدم دينه الحقيقيَّ أو المجتمع، على الرَّغم من وضعه في مكان لا يستحقه أصلًا[1]. وإذا ما حصل على ترقيةٍ في مجالٍ ما، وجدنا ترقيته التي أخذها ـ من غير كفاءة علميَّةٍ ـ قد حصل عليها عن طريق المحاباة والمجاملات، ولاسيما إذا عرف المحكِّمُ ذلك الباحثَ لصداقةٍ أو زمالةٍ تدريسيَّة ـ وما أكثر ذلك اليوم ـ؛ لعدم نزاهة

(١) ينظر: العولمة وآثارها في البطالة والفقر التكنولوجي في العالم الثالث: صلاح عباس، ط مؤسسة شباب الجامعة / الإسكندرية ـ مصر ٢٠٠٤م: ص١١٣.

بعضهم وعدم احترامهم سريَّة التحكيم التي تفرض عليهم تقديم الملحوظات وتصحيح الأخطاء العلميَّة لذلك الباحث المسمَّى، خدمة للدِّين والعلم، ولصالح المجتمع.

رابعًا: إنَّ واقع البحث في المراكز والجامعات الإسلاميَّة ضعيف وغير موجَّه نحو معالجة مشاكل الوطن إذ إنه في جوهره يُركز على المعلومات لا على إرساء الأسس العقلية التحليلية النَّقدية(١)، بل تعد معظم الأبحاث التي يُجريها أعضاء هيئة التدريس الذين يُشكِّلون حيِّزًا كبيرًا من العاملين في حقل البحث العلمي لغايات استكمال إجراءات الترقية الأكاديمية، وبالتالي فهي لا تسخر لخدمة أغراض فكريَّة عالية المستوى للفرد المسلم ومجتمعه، بل أنَّ بعضها أصلًا لا تتواءم مع الخطط التنمويَّة الوطنيَّة.

خامسًا: عدم وجود تنسيق وتعاون بين المؤسسات القرآنيَّة في المجتمع ومراكز البحث العلمي(٢)، الأمر الذي أدَّى إلى عدم الاستفادة من الخبرات والآراء والأفكار في مجال البحث العلمي الرَّصين.

سادسًا: يكاد البحث في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا يكون شبه مهمل في التخطيط وإعداد الموازنات في بعض البلاد العربيَّة، وهذا تحدي حضاري كبير في مجال البحث العلمي والتطوير، وتزداد ضغوط هذا

(١) ينظر: أضواء على الدراسة الميدانية: ناصر ثابت، ط مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٩٨٤م: ص١٤٨.

(٢) ينظر: مناهج البحث الاجتماعي: د. عادل مختار الهواري، ط١ مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ص١٩٤.

التحدي يومًا بعد يوم مع ظهور النِّظام العالمي الجديد وانتشار وسائل الاتصالات والمعلوماتيَّة.

سابعًا: عدم التخطيط الجيِّد لفتح مغاليق فكر بعض الباحثين في مجال القرآن وعلومه من خلال المشاركات أو السَّفر. وما أعنيه هو عدم إنصافهم في البعثات العلميَّة والإفادات في الجامعات الإسلاميَّة أو كليات الشريعة إلى الخارج رغم التكاليف الكبيرة التي تتحمَّلها وزارةُ التعليم العالي في هذا الجانب.

.. هذا وفي الختام فلا بد من توجهٍ واعتناءٍ كبيرين حول الدراسات القرآنيَّة العُليا المتزنة، وإنصافها، إذ تشكل اليوم أهميَّةً قصوى في تطوير الفكر والأداء، وتحديد المشكلات والمعوِّقات التي تواجه المؤسسات والمجتمعات، ذلك أنَّ أبحاثها هي أهمُّ المرتكزات لوضع الاقتراحات والحلول لجميع المشكلات الدِّينيَّة والاجتماعيَّة وغيرهما، ومن ثمَّ اتخاذ القرارات اللازمة.

أهمُّ نتائج البحث

وممَّا سبق يتضح لنا جليًّا أهميَّة هذا الموضوع الشيِّق.. وبعد تلك الجولة المتواضعة أخلص إلى ما يأتي:

١ ـ أكدت هذه الدِّراسة وبشكلٍ واضح عن حاجة جامعاتنا الإسلامية وكليات القرآن وعلومه إلى مشروع وسطيٍّ ونهضويٍّ واحد، وإلى إستراتيجية تعليميَّة وبحثية مشتركة، ومن ثمَّ إلى مؤسسة مركزيَّة تتابع التطبيق والتنفيذ والإشراف، وإلى ما هو أهم.

٢ ـ إنَّ من جملة أزمة البحث العلمي في ميدان الدراسات الإسلامية لكلياتنا القرآنيَّة في جامعاتنا اليوم تتمثل في اقتصار معلومات طلبة الدِّراسات العُليا على ما ورد في الكتب القديمة فحسب، وجمود الفكر عند فقه العبادات وفقه الأسرة مع التركيز على فقه المذهب عند الترجيح والتعصب له وإن كان مرجوحًا وفقدان المنهجيَّة العلميَّة والمعالجة العصريَّة في بعض الدراسات البحثيَّة القرآنيَّة، فضلًا عن طغيان النَّاحية الكميَّة فيها، مع خوف بعض الأساتذة المشرفين وطلبتهم من التعامل مع تكنولوجيا المعرفة.

٣ ـ على العلماء والأساتذة الأكاديميِّين في الدراسات القرآنيَّة أن يضعوا أمامهم تجارب الأمم الأخرى وفي مقدِّمتها تلك التي كانت إلى وقتٍ قريبٍ تعاني مثلنا من حالة الإحباط والتخلف الشامل، فإذا بها فجأة تحقق قفزة حضارية في البحث العلمي النَّظري والتطبيقي، وبعد أن كانت من الدول المستهلكة المستوردة للكتب والأبحاث صارت من الدول المنتجة والمصدِّرة للعقول والباحثين، ودخلت نادي المفكرين والمبدعين والمنجزين على أوسع نطاق.

٤ ـ أوضحت هذه الدراسة وبشكلٍ جليٍّ أنَّ دفع الشبه عن القرآن الكريم، صار واجبًا لا يُمكن التفريط فيه، بل يأثم أهل الاختصاص بالتغافل عنه فهو ميدان جهاد الباحثين ومَنْ لهذا إن هم قصَّروا؟ ولا نسمع لدندنة (الأوْلى أنْ ندعَ الشبهة تموت بدلًا من الرَّد عليها)؛ وذلك لأنَّ الواقع يكذّبها إذ إنَّ الشبهة لا تموت، بل يتوفر لها دائمًا من يعمل على إحيائها وبعثها من جديد.

وبالتالي فإنَّ الباحث اليوم في مجال الدراسات القرآنيَّة مطالبٌ بمراعاة التقديم والتأخير، أو الترتيب في الموضوعات المختارة، وذلك طبقًا لنظام الأولويَّات، فإذا ما كان درء المفسدة مقدَّمًا على جلب المصلحة فمن بابٍ أوْلى دفع الأفسد مقدَّمٌ على دفع الفاسد؛ وجلب الأصلح مقدَّم على جلب الصَّالح.

ممَّا يستدعي من الباحثين في تخصص القرآن وعلومه أن يولوا اهتمامًا كبيرًا في تصدير أبحاثٍ جديَّةٍ تهدف إلى عرض التشريع

الإسلامي في ثوب جديد تقتفى فيه مقاصد القرآن وغاياته، ويُشدِّدُ فيه على الثوابت بكلِّ حكمةٍ وبصيرة. ولا يُمكن القيام بذلك إلا بعد دراسة مقاصد القرآن في تشريعاته دراسة دقيقة معمَّقة، لكي يعيَ الباحثُ أبعاد ما يُسطِّر في بحثه.

٥ ـ إذا أردنا حقًّا جامعاتٍ إسلامية وكليات قرآنيَّة متقدِّمة، وبحثًا علميًّا رصينًا تتوفر له كل شروط البحث الحديث ووسائله، فما علينا إلاَّ أن نتغيَّرَ وننفتحَ على العالم وفق المعطيات الشرعيَّة، وأن نوثق صلتنا بالعصر ومقوِّماته، وأن نظل على صلةٍ وثيقةٍ بينابيع المعرفة العربيَّة والإسلاميَّة، وأدوارها التاريخية حتى لا نكون ضحايا للاغتراب أو الاستلاب، أو كلاهما معًا.

٦ ـ إنَّ مصيبتنا نحن المسلمين اليوم هو انتكاس المنهجيَّة العلمية في البحث العلمي في إطار الدِّراسات القرآنيَّة العُليا، والتي تتلخص في مشكلتين:

أوّلهما: تتمثل في أنَّ الباحث قد حَوَى من علوم القرآن ما قد حَوَى، واستوعبه أيَّما استيعابٍ، بَيْدَ أنَّه لا يُدرك أين يضع مداركه، ولا كيف يوظف علمه.

ثانيهما: تتمثل في وعي الباحث لخطورة القضيَّة المنهجيَّة، إذ إنَّه يولي جانب المنهجيَّة ويُبدي اهتمامه بذلك، لكنَّه يُخطئ طريق التحمُّل أو التلقي، فبَدَلَ أن يتلقى عن حنيفيَّة هذا الدِّين وسماحته وحضارته نأى بنفسه وانصرف إلى الغرب كليَّة، أو إلى الاستبداد ورفض كتابة الآخرين بوساطة الفكر المتطرِّف حتى صار ينظر إلى مَن حوله بعين

الاستصغار والجهل، لا بعين العلم والحكمة والأناة.. وبين هذا وذاك ضاعت القضيَّة المنهجيَّة في الدِّراسات القرآنيَّة العُليا.

٧ ـ أثبتت هذه الدِّراسة أنَّ تطوير قطاع البحث العلمي في الجامعات الإسلاميَّة وكليات القرآن وعلومه وتحديثه يؤدي إلى قدرة فائقةٍ على تخريج طلبة باحثين معتدلين ومؤهلين وقادرين على تلبية الاحتياجات المختلفة من الأنشطة الدينيَّة والاجتماعية والثقافية، مزوَّدين بالمؤهلات الأكاديمية والتطبيقية التي تنسجم مع الاحتياجات الحالية والمستقبلية لخدمة المسلمين.

٨ ـ إنَّ كثيرًا من الباحثين تعتريهم معاناة يحتفظون بها عند إعدادهم للبحث العلمي؛ لأنهم ينصدمون بواقع الرُّوتين الجامعي الذي يفتقر إلى أبسط مقوِّمات الرُّقيِّ التي تتصل بوسائل البحث العلمي، ممَّا يجبر هؤلاء العلماء إلى قطع صلتهم بالبحث العلمي، ويختارون طريقًا لا يلتقي مع تخصُّصاتهم وطموحاتهم الأولى، وهو طريق الكسب والعمل غير الجامعي على أمل أن يُحققوا لأشخاصهم من خلاله ما فشلوا في تحقيقه علميًّا، وتكون الدراسات القرآنيَّة العُليا حينئذٍ قد فقدت الكثير من الكفاءات العلميَّة والمتخصِّصة.

٩ ـ ضرورة تطوير البرامج والمناهج التعليميَّة وتحسينها؛ لتصبح أكثر التصاقًا بحاجات الجماهير وخدمة المجتمع، ولتسهم في تنمية مهارات الطلاب وتنمية قدراتهم الإبداعية، وتنقية أفكارهم، وإعدادهم للمشروع الوسطي والعمل المنتج.

١٠ ـ وجوب الالتزام بأسلوب التخطيط الاستراتيجي الذي يهتمُّ بوضع التصوُّرات المستقبلية، والاستعداد لمعالجة المُشكلات المتوقعة والتصدِّي لها مع إيجاد الحلول.

١١ ـ يؤكد هذا البحث على ضرورة توفير البيئة الأكاديمية والنفسيَّة والاجتماعية الدَّاعمة للإبداع والتميُّز والابتكار وصقل المواهب لدى الباحثين المختصِّين في علوم القرآن، وغيره.

١٢ ـ وجوب دعم مسيرة البحث العلمي في جامعاتنا الإسلاميَّة، وذلك من خلال تشجيع أعضاء الهيئة التدريسية على التأليف، ودعم نشر دراساتهم وأبحاثهم الإسلامية المتزنة في المجلات العلمية العربية والدُّولية فضلًا عمَّا يُنشر من بحوث في مجلات الجامعة. وتشجيع البحث العلمي ودعمه ورفع مستواه ولاسيما البحث العلمي في إطار القرآن وعلومه الموجَّه لخدمة الدِّين والمجتمع.

التوصيات

إنَّ هذا البحث لا يهدف إلى الاستقصاء، ولكنَّها أنفاس تحشرجت في الصدر أبثها لإخواني الأفاضل من الباحثين لتستحل على أيديهم نسمات عاطرة يفوح بها الكون عطرًا وأريجًا، إذ قد أمست معايير التفوق والازدهار في كليات القرآن الكريم والباحثين فيها مطلبًا ملحًّا حتى يتمَّ الارتقاء بنوعيَّة المُخرجات البحثيَّة في المؤسسات والمراكز البحثية.. وهنا يوصي الباحثُ تطبيق ما يأتي:

أولًا: ربط البحث العلمي في جامعاتنا بالهويَّة والثقافة الإسلامية المتزنة من أجل تطوير مجتمعنا وإصلاحه، فلا يُمكن أن تكون أبحاثنا خارج ثقافتنا الإسلاميَّة السويَّة.

ثانيًا: على الباحثين والمبدعين، الغوص في بحار القرآن الكريم ليُخرجوا لنا دُررًا من تشريعاته التي تضمن لوحدها إقناع الآخرين وسعادة الجميع.. فمشكلتنا اليوم مع غيرنا تكمن في عدم نجاحنا بتصدير تشريعات القرآن الكريم كما أنزلها الله تعالى، وكما تولاها رسوله الكريم وطبقها على أرض الواقع.

ثالثًا: توجيه البحث العلمي بكليات القرآن وعلومه لخدمة المجتمع في ضوء التغيرات والتحولات العالميَّة، والبذل من أجل ذلك لربط

البحث العلمي بقضايا المجتمع، باعتباره الأساس في تكوين اتجاهات الطلبة والباحثين نحو البحث والقدرة على حل المشكلات باستخدام المعرفة المتاحة.

رابعًا: يجب اختيار الباحثين في مجال الدراسات القرآنيَّة لمؤسسات ومراكز البحث العلمي تبعًا للخبرة والقدرة على إحداث التغيير والتطوير الفكري، وتوفير التدريب الكافي لهم قبل تكليفهم؛ لتحقيق رفع مستوى الكفاءة العلميَّة بهذه المؤسسات.

خامسًا: تحديث الإستراتيجيَّة الوطنية للبحث العلمي في إطار الدراسات القرآنيَّة ودعمه سياسيًّا، وتشجيع العلماء ومشاركتهم في أنشطة البحث العلمي.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا مُحمَّدٍ،
وعلى آله وصحبهِ أجمعين